

أضواء البيان

@ 323 @ لنوع الإنسان ، الذي هو النسل لدلالة المقام عليه ، كقولهم : عندي درهم ونصفه : أي ونصف درهم آخر . كما أوضح تعالى هذا المعنى في سورة السجدة في قوله تعالى { ذَٰلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ * الَّذِي أَوْحَىٰ أَسْمَاءَ كُلِّ شَيْءٍ خَلْقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ * ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ * ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ . وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ . وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ } وأشار إلى ذلك بقوله تعالى : { وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِّن تُّرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ } وما ذكره هنا من أطوار خلقه الإنسان ، أمر كل مكلف أن ينظر فيه . والأمر المطلق ، يقتضي الوجوب إلا لدليل صارف عنه ، كما أوضحناه مراراً . وذلك في قوله : { فَلَا يَنْظُرُ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ * خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ } . وقد أشار في آيات كثيرة ، إلى كمال قدرته بنقله الإنسان في خلقه من طور إلى طور ، كما أوضحه هنا وكما في قوله تعالى : { مَّا لَكُمُ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا * وَقَدُ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا } وبين أن انصراف خلقه عن التفكير في هذا والاعتبار به مما يستوجب التساؤل والعجب ، وأن من غرائب صنعه وعجائب قدرته نقله الإنسان من النطفة ، إلى العلقة ، ومن العلقة إلى المضغة الخ . مع أنه لم يشق بطن أمه بل هو مستتر بثلاث ظلمات : وهي ظلمة البطن ، وظلمة الرحم ، وظلمة المشيمة المنطوية على الجنين ، وذلك في قوله جل وعلا : { يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّن مِّن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنزِلْنِي تُصْرَفُونَ } فتأمل معنى قوله { فَأَنزِلْنِي تُصْرَفُونَ } أي عن هذه العجائب والغرائب ، التي فعلها فيكم ربكم ومعبودكم . وقال تعالى : { هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ } وقال : { يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَيْعِ وَالْإِنسَانِ فَإِنزِلْنا خَلْقَناكُمْ مِّن تُّرَابٍ ثُمَّ مِّن نَّطْفَةٍ ثُمَّ مِّن عَلَقَةٍ ثُمَّ مِّن مُّضْغَةٍ مَّخْلُوقَةٍ وَغَيْرِ مُخْلُوقَةٍ } ثم ذكر الحكمة فقال { لِّلنَّبِيِّينَ لَكُمُ } أي لنظهر لكم بذلك عظمتنا ، وكمال قدرتنا ، وانفرادنا بالإلهية واستحقاق العبادة ، وقال في سورة المؤمن { هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِّن تُّرَابٍ ثُمَّ مِّن

زَطْفَةً ثُمَّ مِّنْ عَلَاقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِيَتَّخِذَ الْغُفَا
 أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِيَتَّكُونُوا شُيُوخًا { وقال تعالى : { أَيْحَسِبُ الْإِنْسَانُ أَنْ
 يُتْرَكَ سُدًى * أَلَمْ يَكُ نَاطِفَةً مِّنْ مَّيِّدٍ يُمْنَى * ثُمَّ كَانَ عَلَاقَةً
 فَخَلَقَ فَسَوَّى * فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى * أَلَيْسَ
 ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُخْلِقَ الْوَحْيَى { والآيات بمثل هذا كثيرة ، وقد أبهم
 هذه الأطوار المذكورة في قوله